

بسم الله الرحمن الرحيم

السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ

سيدة نساء العالمين

تلك التي اختارها الله من بين نساء العالمين لتكون إلى جانب خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام .. أول الناس إيماناً به وتصديقاً برسالته .. وأولهم حباً وبذلاً ونصراً ..

في يوم من أيام مكة وقبل أن تشرق شمس الإسلام بسنين كانت نساء من قريش مجتمعات قرب البيت العتيق يتبادلن الأحاديث فإذا برجل يقترب منهن حتى إذا وقف أمامهن قال : يا نساء تيماء ! إنه سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد يُبعث برسالة الله ، فأيا امرأة استطاعت أن تكون له زوجاً فلتفعل !! كانت السيدة خديجة بين هؤلاء النسوة وراحت ترقب الرجل وتفكر في كلامه.

نشأت السيدة خديجة رضي الله عنها في أسرة عريقة من أسر قريش ، وفي بيت واسع الثراء ، تزوجها أبو هالة وأنجبت ولداً يقال له هند ثم توفي أبو هالة فتزوجت عتيق بن عابد فولدت بنتاً اسمها هند أيضاً، وبعد وفاة عتيق تفرغت لأولادها وتجارته.

وقد كانت السيدة خديجة تستأجر الرجال في مالها لقاء سهم معلوم من الربح ، وقد بلغها عن محمد ﷺ فبعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً فقبل الشاب الأمين عليه الصلاة والسلام ..

خرج محمد بن عبد الله ﷺ معه غلام لخديجة رضي الله عنها اسمه ميسرة حتى قدما (بصرى) من أرض الشام ، وهناك باع عليه الصلاة والسلام السلعة التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ، وأعجب ميسرة بأخلاق محمد ﷺ وأدهشه ماكان يحيط به من بركة ورعاية ربانية ثم عاد عليه الصلاة والسلام إلى مكة بربح مضاعف وراح ميسرة يحدث السيدة خديجة رضي الله عنها عن أخلاقه ﷺ وبركته المدهشة .. وكان رسول الله يقول عنها : **" ما رأيت صاحبةً أجيد خيراً منه "**

خديجة ، ما كنا نرجع أنا وصاحبنا إلا وجدنا عندها تحفة من طعام نجبوه لنا " ..

أدركت خديجة رضي الله عنها أن محمداً ﷺ ليس كغيره من الناس فبعثت إليه صديقتها نفيسة بنت منية تعرض عليه الزواج بها رضي الله عنها . فأنته نفيسة فقالت : يا محمد ! ما يمنعك أن تزوج ؟؟ فقال : **" ما يبدي ما أتزوج به "** قالت : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الج مال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال : **" فمن هي ؟ "** قالت : خديجة ، قال : **" وكيف لي بذلك ؟ "** قالت : علي ، قال : **" فأنا أفعل " .**

وتم الزواج المبارك وكان عمر خديجة رضي الله عنها يومئذ أربعين سنة وعمر النبي عليه الصلاة والسلام خمس وعشرون سنة وأسعدهما الله بحياة هائلة مستقرة وجعلت السيدة خديجة رضي الله عنها نفسها ومالها وكل ماتملك وقفاً على راحة الأمين ﷺ ، وقد رزقهما الله تعالى ولداً سماه النبي ﷺ القاسم حتى إذا بلغ سنّاً تمكنه من المشي شاء الله تعالى أن يتوفاه فالتاع قلب الوالدين الكريمين ثم استسلما لقضاء الله وقدره ، وعوض الله الأم الكريمة فولدت زينب ثم رقية ثم أم كلثوم رضي الله عنهن جميعاً ..

وفي البيت أيضاً كان يعيش غلامها الفتى زيد بن حارثة الذي كان يخدمها فوهبته للنبي ﷺ الذي أعتقه وتبناه فصار يدعى

(زيد بن محمد) فنال نصيبه من رعاية الأم العظيمة .. ولم يلبث النبي ﷺ أن ضم إلى الأسرة المباركة أيضاً ابن عمه علي بن أبي طالب ليخفف عن عمه في أزمة شديدة أصابت قريشاً فأصبحت خديجة رضي الله عنها أماً ثانية له تحنو عليه كما تحنو على أولادها ..

وبعد عشر سنوات من الزواج المبارك وُلدت السيدة فاطمة قرة العين وأشبه أولاده به ﷺ .. مع تعدد من كان يعيش في ذلك البيت له واختلاف منابتهم استطاعت السيدة خديجة رعاية البيت وعاش الجميع إخوة متحابين .

وأما يوم نزول الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام فقد وقفت السيدة خديجة موقف ثقة ويقين ، إذ جاء إليها الحبيب عليه الصلاة والسلام بعد أن نزل عليه جبريل عليه السلام يرتجف فؤاده من هول ما رأى ويقول : " تَمْلُونِي .. تَمْلُونِي " ثم ذكر للسيدة خديجة ما حدث وكيف رأى جبريل عليه السلام يقول : " يا محمد ! أنت رسول الله ، وأنا جبريل " فقالت له بثبات:

(كَلَّا والله ما يَخْزِيكَ أبداً ، إنك لنصل الرحم ، وَنَحْمَدُ الكَلَّ ، وَنَكْسِبُ المَعْدُوم ، وَنَقْرِي الضَّيْف ، وَنَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَق)

، فسكبت كلماتها في قلبه ﷺ السكينة ، ومع ذلك فقد أرادت السيدة خديجة أن تطمئن ويطمئن قلبه الشريف ﷺ فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد ترك الأوثان وتنصر ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل عن قرب ظهور نبي ، ولما أخبره النبي ﷺ ما رأى قال له : هذا الناموس الذي نزل على موسى ﷺ ، ياليتني فيها جَدَّع ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك .. فقال ﷺ : " أو مخرجي هم ؟؟ " قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما أتت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً .

وحين أيقن رسول الله ﷺ أن عهد الراحة قد ولى وأن الدعوة تحتاج إلى تشهير وجد قام ﷺ ، وقامت من ورائه السيدة خديجة رضي الله عنها التي أدركت عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه ﷺ وعلى عاتقها أيضاً فضاغت رعايتها واحتواءها وصارت للنبي ﷺ عوناً تشد أزره وتثبتته .

وبمساندتها للنبي ﷺ استحققت أن يحييها رب العالمين فيرسل إليها بالسلام مع الروح الأمين فقال لرسول الله : " أَقْرِئْ

خديجة السلام مه ربها " فقال رسول الله ﷺ : " يا خديجة ! هذا جبريل يقرئك السلام مه ربك " فقالت خديجة : الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام .

ثم أذن الله عزوجل بأن يجهر رسول الله ﷺ بدعوته فبادر إلى تنفيذ أمر ربه ومالبثت الحياة في مكة أن انقلبت وشنّ المشركون حرباً ضارية على النبي وكل من تبعه .. وقد أرادت قريش أن تشغل النبي ﷺ ببنااته فأمر عمه أبو لهب ابنه عتبة وعتبية أن يطلقا رقية وأم كلثوم ابنتي النبي ﷺ فألم الأم الصابرة السيدة خديجة مصاب ابنتها الحبيبتين ولكنها تجملت بالصبر ، وواست ابنتيهما ، وعلمت أن مع العسر يسراً وقد عوض الله رقية فتزوجها عثمان بن عفان ؓ .. وكانت السيدة خديجة قد رُزقت بعد البعثة ولدها عبد الله ولكن لإرادة الله عزوجل سبقت فتوفي الصبي ولم يكمل رضاعه، ومرة أخرى كان الصبر شعار الأم المؤمنة ..

قال عليه الصلاة والسلام :

" أُمِرْتُ أَنْ أَبْشِرَ خَدِيجَةَ بَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مَهْ قَصَبٌ لَا صَنْخَبٌ فِيهِ وَلَا نَصَبٌ .. "

في السنة الثامنة للبعثة تنادت قريش إلى عزل النبي ﷺ وحصاره مع أهله وعشيرته من بني هاشم وبني المطلب في الشَّعب ومقاطعتهم فلا تبيعهم ولا تشتري منهم ، ولا تزوجهم ولا تتزوج منهم ، بهدف القضاء على صمود المسلمين ، ودخلت السيدة خديجة الشعب مع اهل بيتها وصارت السيدة التي كانت تطعم الناس وتشبعهم تبات جائعة ضعيفة لا حول لها ولا قوة .. ومرت سنوات الحصار الثلاث والسيدة خديجة رضي الله عنها تزدداد في كل يوم وهناً وضعفاً وكانت رضي الله عنها قد قاربت الخامسة والستين من عمرها المبارك ، وما كاد المسلمون يفرحون بانتهاء الحصار حتى توفي عم النبي ﷺ (أبو طالب) الذي كان يدعم ابن أخيه ويسانده على الرغم من بقاءه على دين قريش ، وبعيد ذلك توفيت سيدة النساء رضي الله عنها في السنة العاشرة للبعثة والنبي صلى الله عليه وسلم حولها والبنات يبكين الأم التي لا نظير لها .. ولذلك سمي هذا العالم ب (**عام الحزن**) .

انتقلت أولى امهات المؤمنين إلى جوار ربها راضية مرضية بعد أن أدت رسالتها ولم يكتب لها أن تشهد سنين اليسر التي تلت سنوات الدعوة في مكة فلم تشهد النصر المبين في بدر ولا الفتح الأعظم لمكة المكرمة ، ولم تر الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ولكنها كانت بجانبه ﷺ لما كان وحيداً لا معين له ولا نصير .

أما نبي الوفاء عليه الصلاة والسلام فلم ينسها يوماً ولم تغب عن خاطره وكان لا يفتأ يذكرها ويقول :

" قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بماله إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني

أولاد النساء "

وظل يكرم أهلها وأحبابها وصديقاتها ..

رحم الله المسلمة الأولى والصحابية الأولى وأولى أمهات المؤمنين ..

نسأل الله أن يرزقنا حسن الاقتداء بها والسير على خطاها .